نافذة

الثقافة والإعلام

الباعث الذي يدعونا للربط بينهما بعد إحداث قراءة في مفاهيم كل منهما، من باب أنهما لا يشبهان بعضهما، بحكم أن لكل منهما دوره وشخصيته وحضوره، واعترافنا المنطقي أن الإعلام بند من بنود الثقافة التي تمثل شخصية الأمة ولغتها لبها الناطق بها، بكل ما تعنيه أبعادها التاريخية والحاضرة والمستقبلية، التي يمثل لها الإعلام فضاءها الخاص بها، والتي تلائم طبيعتها الإيجابية التي لا تكون حية إلا بعد تهذيبها إعلامياً، فإذا لم يسعَ الثقافي لتقديم الكيف، فإنّ الكم يربك الإعلام كما في حالته، وأي نجاح تحققه الثقافة من خلال رعايتها لتنوعها يتحول إلى عمليات منتجة وفاعلة، تضيف إلى مجتمعها وحكومتها ودولها قوة هذه التي تتحول بالشكل الطبيعي إلى خلق إعلام ناجح، وهو عينها، يعلن أن ما يمتلكه أكثر من جيد، فإذا قصر ظهر خلله، ليتحول إلى ناقل سلبي، وإن أجاد أضاف إلى إنتاجها، أي إلى الثقافة انتشاراً إيجابياً ووعياً مضافاً، لما تملكه.

فالإعلام ليس ناقلاً أو موصلاً فقط، وإذا اعتبرناه كذلك، فإننا نبرئه من أي فشل أو خلل يقع به أو يشيطنه، لتقع المآسي في وجوه حاملها، وتنعكس على متابعيه بعد أن تخلق الذعر والهلع لدى مجتمعات البساطة، فهو مع الثقافة يقودهم إما كالقطعان إلى مجاهل التهجير والتدمير والتخلف والتسليم، أو إلى النهوض والتقدم وعدم الاستسلام للخطيئة والفشل.

إن طعم العطاء السياسي والاقتصادي تتذوقه الثقافة، وينقله الإعلام، فالعطاء الحكومي الحقيقي لابد أن يأتي بالنتائج الاجتماعية، وهذا ما يخدم الرؤى السياسية، فهل تعودنا العطاء من أجل الوصول إلى الأفضل؟ وهل تعلمنا هذا الفعل الجميل الذي لا يحصل على الاعتراف إلا إن كان نابعاً من الفكر العلمي بإرادة العقل العارف لما يفعل أمام ما نملك؟

نحن نحتاج إلى التغيير، لقد بليت ثقافتنا، واختلّ إعلامنا، فلا ضير في ألا نجدد في كسائنا، بل في فكرنا ومفرداته المنتمية، فالمعرفة تحتاج إلى ثقافة وتشجيع من مختلف جهات الحكومة، وبما أن السياسة طموحة لتحقيق الأفضل وبناء جسور بين أبناء الوطن الواحد المتنوع أولاً، ومن ثم مع المحيط القريب والبعيد ثانياً، فلابد من أن يكون دورها معززاً للانفتاح الذي يحقق التواصل مع الثقافات الأخرى، كما أنه يقدم التسامح من خلال فسح المجال للخيال والاستكشاف والإرادة دائماً وبناء مستقبل واعد للأجيال القادمة.

هل اكتشفنا عالمنا السوري وعملنا عليه قبل أن نذهب للحديث عن العوالم الأخرى؟ أيّ انسجام وتجانس حققناه ومزجناه ليتكون لنا مزاج وطبع يتحدث عنه الآخر؟ أيّ علاقة بناءة حققتها ثقافتنا وغزلتها ضمن لوحة فنية اسمها سورية؟ هل استلهمنا من هندسة الموزاييك المصنوع من المرايا المتعددة الأشكال لغة الصورة واللوحة الواحدة التي تجتمع فيها كل الأطياف والألوان؟ كيف باغتتنا الخيبات، وأصابتنا الصدمات، فذهبنا لاتهام الواقع، وطالب البعض بالتغيير؟ أقول ربما، ولكن فهم ارتباطها والحفاظ عليه ضمن جمالية وجودها أعتبره الأهم، فنحن البشر مهمٌ لنا أن ندرك قيمة الاختلاف وعلاقته بالمدى المتسع الذي تمنحه الثقافة وتحترمه وتتعامل معه برصانة، فهل قدر الإعلام على تقديمه بالشكل الأمثل أو بالحد الأدنى المؤسس للصعود عليه؟

الثقافة المتجذّرة والمتحضرة تحتاج إلى بثها في فكر المجتمع، فهل نشرنا ثقافة القانون؟ أي مالك وما عليك، وثقافة الشراء، وثقافة البيع، وثقافة العلاقة بين المواطن والدولة، هذه التي تفشل مشاريع الفساد والانهيار وهدر قطرات العرق والدماء المتعلقة بالحياة، تتفتق عنها سبل طويلة لا نهاية لها، توصلها إلى المشهد المنشود بعد أن يلتقطها الإعلام، يعيدها إلى الحياة المؤيدة من لغة الحقيقة، فالثقافة شعر العالم الجميل، ووطن يشبه الدمعة المنهمرة على وجنة تمثل الوطن، الذي يقاوم الوحشية والهمجية والإرهاب والإبادة، فقضايانا ليست سواها في أيدينا.

يسأل الإنسان: لماذا يتقاسموننا كغنائم؟ فأين تياراتنا الفكرية وابتكاراتنا الفلسفية؟ ألا يجب علينا مراجعة موروثنا الثقافي ومناهجنا الكوميدية ومساعدة الإعلام في إحداث هذه العملية؟ وإلا فإننا سنبقى ندور حول أنفسنا، وبالتالي يكون مستقبلنا متاهة وحاملاً لمفاجآت مظلمة.

أين تكمن مشكلاتنا؟ هل تكون في ثقافتنا السياسية، أم في ثقافتنا التنفيذية، أم في ثقافتنا الاجتماعية؟ وهل نحن فعلاً في مأزق ثقافي يسيطر على هيكلية الدولة العربية التي فرّخت دولاً وحدوداً، ورويداً رويداً انتهى مشروع الأمة الواحدة والرسالة الخالدة، وتمّ القضاء على مشروع القومية العربية بهدوء عنيف.

لم تستفق الأجيال العربية بعد من هول ما جرى ويجري، من المسؤول؟ ألا يتم كل هذا أمام أنظار المجتمع العربي؟ ألا يعملون على قلب المفاهيم والقيم الدينية الأساسية والثقافية الأخلاقية لمصلحة العولمة والتبرؤ من الشخصية العربية وحتى معناها؟ ألا يجري حرف المبادئ والثقافة عن أسسها؟ وأين؟ على شاشاتنا العربية التي نتفاخر بأن لدينا المئات منها، فماذا تبث ومن دون أي تدخل فاعل وحقيقي من أصحاب القرار الذين لم ينجحوا إلا بشن الهجوم الإعلامي على بعضهم.

خطابات كراهية وتحريض فيما بين حكومات دولنا العربية، والمستفيد الوحيد من كل ذلك أعداء هذه الأمة المجتمعة والمتفرقة حتى داخل الدولة الواحدة، وبشكل خاص التركي والإسرائيلي اللذان طورا الخطاب العدائي باتجاه شعبنا العربي، ومن داخله، وتحولا إلى مصادر ابتزاز ليس لنا، وإنما للعالم أجمع، وبشكل خاص للأمريكي والروسي، ومن ثم الأوروبي بالعموم، بعد أن قدما نفسيهما كقادرين على ضبط الشأن العربي واختراقه بالهيمنة والتطبيع والعدوان المباشر وغير المباشر.

نجاح السياسة يرتبط بعاملي الثقافة والإعلام، لأن الثقافة تعني التهذيب، فإذا انحرفت تنقلب على أصلها، لتكون سبباً في انتهاك حقوق الإنسان، أو عنصرية حين تطغى عليها نزعة الاستبداد، وإذا كان الإعلام من أعلم وأخبر ووثّق، ينبغي أن يكون ناقلاً ورافعاً ورساماً دقيقاً، يعمل على تطويرها، فنحن العرب برمتنا والسوريين خصوصاً، لن نكون غربيين أو أمريكيين ولا روساً أو كوريين، إنما يجب علينا أن نستفيد من ثقافات الآخر ونظم عمل إعلامه، فالنقل الأعمى والنقد السلبي لا يفيدان، يؤديان إلى تشويه الحاصل، وصحيح أننا بحاجة علمية دقيقة لتطوير القوانين والتشريعات، وفعلاً توجد توجيهات بذلك ضمن عملية تحديث كبرى استعداداً للمستقبل، ويحدث هذا واقعياً، ولكن هل هيأنا البنية الفكرية والثقافية والإعلامية المسؤولة عن البنية التحتية، لتقبل هذه القوانين؟ أم إنها تأتي في غفلة وبشكل مفاجئ لتحدث الاضطراب المكاني والزماني في فكر المجتمع وعلاقاته المتشعبة حياتياً.

كما أننا بأمسّ الحاجة لتعريب ثقافتنا بشكل يوائم التطور الحضاري، ما يؤدي إلى تعريب وجودنا العربي الذي يمرّ الآن بأهم أزمة، وهي وجوده على الخريطة العالمية، وهذا يعني إن وصلنا إليه بنياناً نوعياً دقيقاً تسكن فيه العروبة التي تستنهض الشعب العربي.

هل يضلل سوء الظواهر الأخلاقية منظومة الثقافة؟ هذه التي أدت إلى أوخم العواقب في حياتنا السورية والعربية، وتاه الباحثون والمحللون والساسة في اعتبارها علة العلل، فمنهم من ذهب في العلاج بطريقة الوعظ، واختلف معهم المفكرون، وحتى المثقفون أنفسهم وصلوا إلى أن العلة في المخطط الخارجي، الذي نال من وجودنا كشعب وأمة، وشاغل الإعلام بالأحداث المتسارعة.

من كل هذا أقول: إن النضج يأتي من بيئتنا وداخلنا، والبشارة موجودة، وتشكل قوة إيحائية أكثر من مهمة، ترسم لنا معنى المرحلة القادمة، وضرورة تحويلها إلى قدوة بعد استجلاء واقعنا والاعتراف بما ينقصه والإقدام على ترميمه، وبهذا تنهض الثقافة، ويعلو كعب الإعلام على الصعد كافة.

د. نبيل طعمة

مالك محمد ينهي تصوير فيلم «سبع وسبعين فاصلة»

رؤية سينمائية سورية لرواية فرنسية تمزج الخيال بالواقع

وائل العدس

أنهى المخرج مالك محمد تصوير فيلمه الروائي القصير «سبع وسبعين فاصلة» في دمشق، وهو من نص ربى أحمد وإنتاج المؤسسة العامة للسينما.

ويقدم الشريط رؤية سينمائية سورية لرواية الكاتب الفرنسي غيوم ميسو الشهيرة المنشورة عام ٢٠١٠ «فتاة من ورق» مستعيناً في ذلك بالحبكة الرئيسية في الرواية القائمة على مزج الخيال بالواقع.

ويتناول الفيلم علاقة أديب مع الشخصيات التي يكتبها، حيث تظهر من الورق شخصية فتاة تعترض على سير أحداث حياتها لأنها غير مقتنعة بها وتطالبه بتغييرها، ثم نجد أن هذه الشخصية تعايشت مع الأديب في منزله مع مجموعة شخصيات أخرى ما يجعله خائفاً من ظهورها لكونها تستطيع اقتحام خلواته وخصوصياته بشكل دائم، حتى يوافق في نهاية المطاف ويعدل ما كتبه عن تلك الشخصية.

يشارك في تمثيل الفيلم كل من ثراء دبسي ورنا جمول ومأمون الخطيب وعهد ديب.

الفيلم الأول

يعد هذا الفيلم الاحترافي الأول لمالك محمد كمخرج بعد حصوله على منحة إنجاز فيلم روائي قصير احترافي من مؤسسة السينما لإحرازه المركز الأول في دبلوم العلوم السينمائية، وسبقه فيلم من إخراجه ضمن مشروع سينما دعم الشباب بعنوان: «ليل الغريب».

وقد اقتحم عالم الإخراج بعدما شارك ممثلاً في عشرات الأعمال التلفزيونية على مدى ما يقارب عشرين عاماً منها «الزير سالم» و«أبو الطيب المتنبي» و«رايات الحق» و«رجال العز» و«رفة عين» و«الحسن والحسين» و«القربان» و«المهلب بن أبي صفرة» و«روزنا» و«صراع الجواري» و«الهيبة».

فكرة إنسانية

أكد مالك محمد أن هذا الفيلم أول تجربة إخراجية احترافية له بعد فيلم قصير ضمن منح الشباب وحصد مجموعة من الجوائز، مشيراً إلى أن فيلمه الجديد يضم مجموعة متميزة من النجوم، وعلى رأسهم ثراء دبسي التي عادت بعد طول غياب.

وعن المزج بين الواقع الفرنسي الذي تحمله الرواية وبين الواقع السوري قال: الفيلم عبارة عن فكرة إنسانية تتقاطع مع أي مجتمع إنساني، وتتحدث عن كاتب تظهر إحدى شخصياته أمامه وتناقشه بمسألة أنها غير مقتنعة بما يكتبه، وتطلب منه تغيير قدرها على الورق.

وعن رمزية اسم الفيلم، قال: إن ٧٧ هو رقم الصفحة الذي وصل إليها الكاتب قبل أن يضع فاصلة، ثم تخرج الشخصية وتمحي الفاصلة ليفاجأ دائماً بحذفها، فلا تسعفه الأفكار ليكتب مجدداً فيصاب بحالة اكتئاب ويتوقف عن الكتابة، قبل أن تظهر الشخصية من الورق وتناقشه وتحاوره، وفي الوقت نفسه تخاطبه بأن عدد الشخوص بالرواية عددها ٧٧ أيضاً.

ورداً على سؤال أجاب: لم أصور الفيلم ليشارك في المهرجانات فقط، وإنما ليشاهده أكبر عدد من الناس، وطبعاً المشاركة في المهرجانات وحصد الجوائز أمر مهم ولكنه ليس الهدف الوحيد.

أما بما يتعلق بالصيغة الإنتاجية يضيف: ربما لو كان عدد الأيام أكبر لكان أفضل لي، لكن علينا عدم إنكار حقوق وزارة الثقافة والمؤسسة العامة للسينما اللتين قدمتا كل ما يحتاجه الفيلم من الألف إلى الياء، وهو ما نفتقده في شركات الإنتاج السورية التي لا تنتج سينما أصلاً.

ألفة ومحبة

بدورها تحدثت رنا جمول عن مشاركتها فقالت إن الفيلم يحكي عن عوالم كاتب يختلط معه الواقع بالخيال، وأؤدي شخصية «الكاتبة مينا» خطيبة الكاتب، لكنها تختلف معه بطريقتها ونظرتها للكتابة وبشخصيتها الواقعية، فهي تكتب ما هو حقيقي وما تقتنع به، وتعبر عن أفكارها بالكلمات، على حين يخبئ هو وجهه الحقيقي وراء كلماته لذلك هو بعيد عن روايته، فتحاول الشخصية استعادة خطيبها ليبقى معها، لكنه يبقى ملاحقاً لأحلامه وأفكاره فيذهب ويتركها.

وأبدت سعادتها بهذه التجربة، ملمحة إلى وجود ألفة ومحبة وتعاون كبير بين جميع أفراد العمل، وأضافت: الأعمال التي تنتجها مؤسسة السينما قمة في التميز، خاصة أنها لا تتطلع إلى الربح بقدر ما تهدف إلى إنجاز سينما حضارية وراقية، ولذلك تجد الجو العام مريحاً ومفعماً بالحب.

انسجام وحميمية

أما الممثل والمخرج مأمون الخطيب الذي بدأ مشواره التمثيلي في السينما قبل ١٧ عاماً فقال: كوني مدرّساً في دبلوم العلوم السينمائية فإني داعم ومتبنٍّ لفكرة سينما الشباب وأحترمها جداً وأقدم أي مساعدة أُدعى إليها.

وأكد أن هذا الفيلم هو الفيلم الروائي القصير الثاني له، والذي توج شراكة سابقة مع مالك محمد وبإيمانه بالشخصية والقدرة على تأديتها، مشيراً إلى أنه خريج إخراج مسرحي لكنه مؤهل ليكون ممثلاً.

وبما يخص دوره، كشف أنه يؤدي شخصية صديق الكاتب الروائي الشهير الذي يتعرض لنوع من القلق والهاجس الإبداعي بسبب الشخصيات التي اقتحمت عوالمه، من خلال هاجس وقلق الفكرة اللذين يسيّران عوالمه الغريبة.

وعن تقييمه لطلبة دبلوم العلوم السينمائية قال: هنالك نسبة من الدفعة الأولى تمتلك مواهب كبيرة وتتعلم بطريقة جيدة، هذه المواهب فعلاً جديرة بالحصول على الفرص ومؤهلة لاستلام زمام المبادرة والاحتراف بعالم السينما.

وتحدثت عن تعاونه مع مالك محمد فقال: مالك يشبه نفسه كمبدع، وآلية تعامله مع العمل تشبه تعامله مع الدور، من احترام وخصوصية وحساسية، وأتوقع له الحصول على فرص أكبر لأن هذا الفيلم سيؤهله لذلك.

ووجه شكره للمخرج لاختياره طاقم العمل المنسجم منذ اللحظة الأولى وحتى نهاية التصوير، بجو من الحميمية التي لها دور مهم في إنجاح الفيلم.

أبعاد خاصة

أكدت عهد ديب أن الفيلم يحمل أبعاداً خاصة، وقد شعرتُ بتميز الشخصيات على الورق لأنها تحاكي طبقة معينة، هي الطبقة المثقفة أو طبقة الكتّاب.

وبينت أن الفيلم يوضح كيفية محاكاة المؤلف لشخصياته وكيف يخلقها وينسج العلاقات بينها ومعها، ومن بين هذه الشخصيات، شخصيتي واسمها «ألماسة» وهي بنت المتعة والحب والحياة.

وشددت على أن هذه التجربة السينمائية الثانية لها ذات نكهة خاصة، لأنها تعاملت مع كبار الأساتذة من الممثلين بخبرتهم الكبيرة، وخاصة أن للسينما تكثيفاً وإحساساً بكل حركة، إضافة إلى أن رؤية مالك محمد بتوجيه الممثل ونظرته للأحداث ثاقبة ومتميزة.

كتاب حول الكتابة

مفاوضات مع الموتى والأسئلة الصعبة.. لمن ولماذا ومن أين نكتب؟!

هبة الله الغلاييني

تقول الكاتبة الكندية (مارجريت أتودد) عن كتابها بأنه كتاب عن الكتابة، مع أنه ليس عن كيفية الكتابة... وهو أيضاً ليس عن كتابة شخص بعينه أو عصر محدد أو بلد دون آخر... إنه عن الموقف الذي يجد الكاتب نفسه فيه، أو الموقف الذي تجد الكاتبة نفسها فيه، والذي قلما يختلف من كاتب إلى آخر... وما هذه الكتابة، بحال من الأحوال؟ هل نشاط إنساني؟ أم إنها تكليف إلهي، أم مهنة، أم عمل مضجر نؤديه من أجل المال، أو لعلها فن؟ ولماذا يشعر كثير من الناس أنهم مجبرون على أدائها؟ وكيف تختلف الكتابة عن الرسم مثلاً أو التأليف، أو الموسيقا، أو الغناء، أو التمثيل؟ وكيف ينظر من يقومون بذلك العمل إلى أنفسهم ونشاطهم من حيث العلاقة معها؟ وهل تبعث آراؤهم بعض الرضا؟ وهل يتغير مفهوم الكاتب من حيث هو كاتب، كما يفسره الكتاب، على مدى الزمن؟ وما الذي نعنيه بالضبط عندما نقول: كاتب؟ أي نوع من الكائنات نتصور؟

لا يستمد هذا الكتاب قيمته من أهمية ما يطرح من أسئلة حول الكتابة والكتاب فحسب، ولكن أيضاً من مكانة مؤلفته وقيمتها على الساحة الأدبية في كندا والعالم.

فلقد رسخت أتودد مكانتها الأدبية كروائية وكاتبة للقصة القصيرة وشاعرة، وناقدة أدبية، إضافة إلى إسهاماتها في الكتابة للأطفال. ووصلت أعمالها، منذ بدأت النشر عام ١٩٦١، إلى أكثر من ثلاثين كتاباً، ترجم منها إلى أكثر من ٣٥ لغة عالمية، كما أدرجت ضمن مناهج دراسة الأدب في المدارس والجامعات، وأصبحت مادة للحوارات الأدبية والمراجعات النقدية وأبحاث التخرج في أقسام الأدب حول العالم. وقد حصلت الكاتبة على العديد من الجوائز أهمها جائزة بوكر الأدبية عام ٢٠٠٠ عن روايتها (القاتل الأعمى).

ولدت أتودد في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٩ في مدينة أتوا بكندا، وهي الطفلة الثانية بين ثلاثة أبناء. وفي صباها الأول كانت تقضي معظم أيام السنة مع أسرتها في غابات كوبيك وأونتاريو بكندا، حيث يتابع والدها أبحاثه في علم الحشرات، وكانت تعود إلى تورنتو أيام الدراسة. بدأت تمارس الكتابة الإبداعية منذ السادسة عشرة من عمرها. تخرجت في جامعة تورنتو عام ١٩٦١، حيث حصلت على ليسانس الآداب مع مرتبة الشرف. بعدها حصلت على درجة الماجستير من جامعة هارفارد، ثم عادت لاستكمال دراستها للدكتوراه ولكنها لم تتمها.

من أهم أعمالها الروائية التي تناقش اهتمامات نسوية بسخرية لاذعة رواياتها «امرأة للأكل» و«معاودة الظهور» و«الحياة قبل الرجل» و«إيذاء جسدي». كتابها (مفاوضات مع الموتى) هو ثمرة محاضرات حول الكتابة. إنها حول الموقف الذي يجد الكاتب نفسه فيه، أو الموقف الذي تجد الكاتبة نفسها فيه، والذي قلما يختلف من كاتب لآخر. ويطرح الكتاب عدة تساؤلات: ما الكتابة؟ هل نشاط إنساني، أم تكليف إلهي، أم هي مهنة، أم عمل مضجر نؤديه من أجل المال، أو لعلها فن؟ ولماذا يشعر كثير من الناس أنهم مجبرون على أدائها؟ وكيف ينظر من يقومون بذلك العمل إلى أنفسهم ونشاطهم من حيث العلاقة معها؟ وهل تبعث آراؤهم بعض الرضا؟ وهل الكاتب هو من يضع الشرائع للبشر ولا يعترف العالم بفضله، كما يعلن شيلي في تفاخر متباه، أم إنه أحد الرجال العظماء المتعصبين ثقيلي الوطأة الذين يصفهم كارليل، أم أنه ذلك الشخص المحطم العصابي النداب أو الأخرق عديم الجدوى الذي يحبه كتاب سيرته المعاصرون؟

هناك ثلاثة أسئلة يطرحها الكتاب على أنفسهم، أو يطرحها عليهم القراء: «لمن تكتب؟ لماذا تفعل ذلك؟ من أين تأتي تلك الكتابة؟»

تجيب الكاتبة عن الدافع الذي يدفع بعض الكتاب للكتابة:

أن نسجل العالم كما هو. أن نكتب الماضي قبل أن يذهب جميعه طي النسيان. أن ننقب عن الماضي لأنه قد غمره النسيان. أن أشبع رغبتي في الانتقام. لأنني أعلم أنه لا بد أن أواصل الكتابة وإلا أموت. لأن الكتابة تعني المغامرة، وبالمغامرة وحدها نعرف أننا على قيد الحياة. كي نضفي النظام على الفوضى، كي أبهج وأعلم، كي أسعد نفسي، ولأعبر عن ذاتي، لأعبر عن نفسي في جمال، كي أبدع عملاً فنياً كاملاً. كي أكافئ الأخيار وأعاقب المذنبين، أو العكس.

كما جاء في دفاع ماركيز دي ساد، الذي يستخدمه الساخرون. كي أرفع مرآة في مواجهة الطبيعة، كي أرفع مرآة في مواجهة القارئ. كي أرسم صورة للمجتمع ومساوئه. كي أعبر عن المسكوت عنه في حياة العامة. كي أسمي ما لا اسم له. كي أدافع عن الروح الإنسانية واستقامة الإنسان وكرامته. كي استهزئ بالموت. كي أكسب نقوداً أشتري بها أحذية لأولادي. كي أكسب نقوداً أستطيع أن أسخر مما سبق وسخروا مني. كي ألقن الأوغاد درساً. لأن الإبداع شيء إنساني. لأن الإبداع تشبه بالإله. كي أغزل حكاية رائعة. كي أسلي القارئ وأسعده. كي أسلي نفسي وأسعدها. كي أمضي الوقت مع أنه سيمضي بحال من الأحوال. ولع مجنون بالكتابة، ثرثرة قهرية. لأنني أجد نفسي مدفوعاً إليها بقوة خارج إرادتي. لأني بي مسّ. لأن ملكاً يملي عليّ ما أكتب، كي أخدم التاريخ، كي أبرر ما يفعله الله بالإنسان، كي أسجل العصر الذي أعيشه، كي أشهد على الأحداث المرعبة التي عشت بعدها، كي أتحدث نيابة عن الموتى، كي أحتفي بالحياة بكل تعقيداتها.

وحيث أنني فشلت في موضوع الدوافع، فقد انتهجت مقاربة أخرى: فبدلاً من أن أسأل كتاباً آخرين لماذا يمارسون الكتابة، سألتهم كيف يشعرون بها؟

لم يرغب أي منهم في معرفة ما أعنيه بكلمة «الدخول». فقال أحدهم: إنها مثل السير في متاهة، من دون معرفة أي نوع من الوحوش، قد يقبع في الداخل، وقال آخر إنها مثل تحسس الطريق عبر نفق، وقالت أخرى إنها تجعلها تشعر وكأنها في كهف، فهي ترى ضوء النهار من الكوة، ولكن هي نفسها في الظلام. وقال آخر: إنها تجعله يشعر وكأنه تحت الماء، في بحيرة أو محيط. وقالت أخرى: إنها تذعر وكأنها في غرفة دامسة الإظلام، تتلمس طريقها، وعليها أن تعيد ترتيب الأثاث في الظلام، وعندما ينتظم كل شيء يضيء النور.

يشترك كثير مما جاء في وصف الكتابة بأنها عملية لا تخلو من العقبات والغموض والخواء وضلال السبيل والظلام وظهور ضوء كالشفق، يصحبها جميعاً صراع أو طريق أو رحلة، فقد يعجز المرء عن رؤية الطريق أمامه، ولكن ينتابه شعور بأن أمامه طريقاً، وأن التقدم في هذا الطريق إلى الأمام يسفر عن حالات من الرؤية.

من المرجح إذاً أن الكتابة تتعلق بالظلام، وبالرغبة في الدخول فيه، أو الاضطرار إلى ذلك وإضاءته، إذا حالفنا الحظ، ثم إعادة تسليط الضوء على كل شيء، يدور هذا الكتاب حول ذلك الظلام وتلك الرغبة.